أغاثا كريستي

عيّنة من الرواية

(للتصفح والاطّلاع)

أوْراقٌ عَلى الطّاولة

بسم الله الرحمن الرحيم

أغاثا كريستي

أوْراقٌ عَلى الطّاولة

طُبعت للمرّة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٣٦

ترجمة: عبد الرزاق الطائي

مراجعة الترجمة: نشأت فتحي

تحرير: رمزي رامز حسّون

الأجيال للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٣٦ بعنوان

Cards on the Table

Copyright Agatha Christie Mallowan 1936

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنَع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL *Publishers*
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الأولى
٢٠٢٠

مقدمة المؤلفة

يتعامل القُرّاء عادة مع الروايات البوليسية كما يفعل المراهنون في السباقات الكبرى، حيث تتسابق مجموعة من الجياد للفوز بالمركز الأول ويجتهد المراهنون لمعرفة أكثرها حظاً في الفوز ليراهنوا عليه. على أن الحالة في الروايات معكوسة، فالأبعد عن الشبهة هو الذي سيرجّح القراء أنه الشخص المذنب، ولو أنك اخترت أقل الأشخاص احتمالاً لارتكاب الجريمة فسوف يكون تخمينك هو الصحيح بنسبة تسعة من عشرة.

وحيث إنني لا أحب لقرائي المخلصين أن يَخيب أملهم في هذه الرواية فسوف أحذّرهم مقدَّماً أنها مختلفة عن النمط المألوف وأنها تخلو من عنصر المفاجأة، فعندنا هنا أربعة مرشَّحين، وأي واحد منهم قادرٌ على ارتكاب الجريمة لو أُتيحَت له الظروف المناسبة. إن فُرَصهم متساوية، وكلٌّ منهم ارتكب جريمة سابقة ولديه القدرة على ارتكاب جرائم أخرى.

إنهم أربعة نماذج مختلفة ولكل واحد منهم دافعٌ يدفعه إلى ارتكاب الجريمة، دافع يختلف عن دوافع الثلاثة

الآخرين، ولكل منهم طريقته وأسلوبه المتميز في ارتكاب الجريمة أيضاً، وهذا يجعل أسلوب كشف الجاني نفسياً سيكولوجياً بحتاً، فبعد استنفاد كل الطرق والوسائل المعتادة يبقى الاهتمام بطريقة تفكير الجاني هو الوسيلة الناجحة للوصول إليه.

بقيت كلمة أخيرة أحب أن أختم بها: إن هذه الرواية من قضايا هيركيول بوارو المفضَّلة، لكن صديقه الكابتن هيستنغز وجدها رواية مملّة عندما قَصَّها بوارو عليه. وإنني لأتساءل: أيّ رأي منهما سيكون رأي قرّائي الأعزاء؟

* * *

الفصل الأول

السيد شَيْطانا

- عزيزي السيد بوارو!

كان صوتاً ناعماً مثل مُواء القطط، صوتاً يحرص صاحبه على استعماله بعناية شديدة.

التفت بوارو وانحنى بأدب ثم مَدّ يده مصافحاً بطريقة رسمية. كان في عينيه شيء غريب، وبوسع المرء أن يقول إن هذا اللقاء غير المتوقَّع (في معرض فنّي أقيم في وسكس هاوْس ويعود ريعه إلى مستشفيات لندن) أيقظ فيه إحساساً لم يكن يشعر به إلا نادراً. قال: عزيزي السيد شيطانا!

تردد الاثنان كأنهما متبارزان حذران، ثم قال السيد شيطانا: يا صديقي العزيز، كم هو جميل أن نلتقي! هل باتت حالات الإعدام قليلة هذه الأيام أم أن الموسم راكد في عالم الجريمة حتى تأتي لزيارة المعرض؟ أم أن سرقة ستقع هنا اليوم؟ لو كان الأمر كذلك فسوف يكون مثيراً جداً.

- واحسرتاه يا عزيزي! لقد جئت هنا لأرضي نفسي فحسب.

تحول انتباه السيد شيطانا نحو سيدة شابة صففت شعرها

بطريقة غريبة وقال: يا عزيزتي، لماذا لم تحضري حفلتي؟ كانت حفلة رائعة حقاً وشارك فيها عدد كبير من الأشخاص اللطفاء!

وفيما انشغلت الشابة بالرد على السيد شيطانا بلباقة انتهز بوارو الفرصة لدراسة الشارب الذي زيّن شفته العليا. شارب جميل، جميل جداً، ولعله الشارب الوحيد في لندن الذي يمكن أن يقارَن بشارب هيركيول بوارو! ثم تمتم مع نفسه: لكنه ليس منمّقاً جداً. نعم، إنه أقل بَهاءً بالتأكيد، ومع ذلك فإنه لافت للنظر.

كان السيد شيطانا كله مخلوقاً لافتاً للنظر وكان له تأثير شيطاني عميق. كان نحيلاً طويل القامة ذا وجه كئيب سوداوي وحاجبين كثّين فاحِمَي السواد، وله لحية صغيرة سوداء وشارب يدهن طرفَيه بالشمع. وكانت ملابسه قِطَعاً فنية من طراز فاخر، لكن فيها شيئاً من الشذوذ.

كان كل من عرفه من الرجال في إنكلترا يتمنى من صميم قلبه أن يركله بكل قوة، وكان الناس يشيرون إليه قائلين بفظاظة: ذاك هو الوغد اللعين شيطانا! أما زوجاتهم وأخواتهم (وحتى أمّهاتهم وجدّاتهم) فكُنّ يقلنَ كلمات من قبيل: أعرف يا عزيزتي، إنه بغيض جداً، لكنه غني جداً، ويا لها من حفلات رائعة! ولديه دائماً أخبار مسلية عن بعض الناس.

لم يعرف أحد: هل السيد شيطانا أرجنتيني أم برتغالي أم يوناني أو من أي جنسية أخرى يحتقرها البريطانيون؟ إلا أن ثلاث حقائق كانت أكيدة: أنه كان يعيش عيشة مترَفة في شقة فاخرة في بارك لين، وأنه يقيم حفلات رائعة من كل نوع، وأنه كان

رجلاً يخشاه بعضَ الشيء كلُّ الناس تقريباً. أما سبب تلك الحقيقة الأخيرة فلا يُعرَف بدقّة، ربما لأنه يعرف عن كل شخص أكثر مما ينبغي، أو لأن روح الدعابة عنده كانت من النوع الغريب. مهما يكن السبب فقد شعر الناس دوماً بأن من الأفضل عدم المخاطرة بإثارة السيد شيطانا.

في ذلك اليوم كان مزاجه الظريف هو الذي جذب الرجل الضئيل ذا الهيئة المضحكة، هيركيول بوارو.

- إذن حتى رجل الشرطة يحتاج إلى الاستجمام والترويح عن النفس؟ هل تدرس الفنون وأنت بهذا العمر يا سيد بوارو؟

تبسم بوارو منشرحاً وقال: ألاحظ أنك اشتريت مقتنيات متنوعة من المعرض؟

رفع السيد شيطانا يده باستهانة قائلاً: إن المرء يهوى اقتناء الأشياء الصغيرة من هنا وهناك. يجب أن تزورني في شقتي يوماً ما فإني أحتفظ فيها بمقتنيات مثيرة، وأنا لا أقيّد نفسي بأي فترة تاريخية محددة أو بأي صنف محدد من المقتنيات الفنية.

قال بوارو باسماً: يبدو أن ميولك واسعة؟

- كما تقول.

فجأة تراقصت عينا السيد شيطانا وانحدر حاجباه انحداراً مثيراً وهو يقول: بوسعي أن أعرض عليك أشياء من اختصاصك يا سيد بوارو.

- إذن فأنت تملك متحفاً للشر والجريمة؟

فرقع السيد شيطانا بأصابعه بازدراء وقال: إن كنت تفكر بالكوب الذي شرب فيه سفاح برايتون أو العتلة التي استعملها لص شهير وأمثالها فإنني أرى الاحتفاظ بها نوعاً من الصبيانية السخيفة ولا أكلف نفسي عناء امتلاك تفاهات مثلها أبداً. إنني أقتني أفضل الأشياء من نوعها يا سيد بوارو.

تساءل بوارو: وما هي أفضل الأشياء في عالم الجريمة برأيك، أقصد من الناحية الفنية؟

مال السيد شيطانا إلى الأمام ووضع كفه على كتف بوارو، ثم همس بطريقة تمثيلية مضحكة: الأشخاص الذين يرتكبونها يا سيد بوارو.

ارتفع حاجبا بوارو قليلاً وسأل باستغراب: هكذا إذن؟!

- أترى؟ لقد أثرتُ اهتمامك يا صديقي العزيز! إننا ننظر إلى هذه الأشياء من زاوية مختلفة، فالجريمة بالنسبة لك عمل عادي، جريمةُ قتل فتحقيقٌ ثم أدلة وفي النهاية (وحيث إنك رجل كفء ولا شك) تأتي الإدانة والعقوبة. إن أمثال هذه التفاهات لا تثير اهتمامي، فأنا لا أهتم بالعينات التافهة من أي صنف كان. إن القاتل الذي يُقبَض عليه هو -بالضرورة- أحد الفاشلين. لا، أنا أنظر إلى الموضوع من ناحيته الفنية، إنني أقتني الأجود فحسب.

تساءل بوارو: ومَن تراه الأجود؟

- إنهم الذين يُفلتون من العقاب يا صديقي العزيز، الناجحون، المجرمون الذين يحيَون حياة عادية لا تحوم حولها الشبهات أبداً. عليك الاعتراف بأنها هواية ممتعة.

قال بوارو ببرود: كنت سأفكر في كلمة أخرى غير «ممتعة»!

هتف شيطانا متجاهلاً ما قاله بوارو: لديّ فكرة، عشاء مختصر، عشاء تلتقي فيه بمعروضاتي الفنية وجهاً لوجه! حقاً إنها الفكرة الأكثر متعة، لا أدري لماذا لم تتبادر إلى ذهني من قبل. نعم، نعم، أستطيع أن أتخيل تماماً كيف سأرتب الأمر، ولكن ينبغي أن تمنحني بعض الوقت. ليس في الأسبوع القادم، لتكن في الأسبوع الذي يليه. هل لديك وقت؟ أيّ يوم سنتفق عليه؟

أجابه بوارو مع انحناءة: أي يوم في الأسبوع الذي يلي الأسبوع القادم سيكون مناسباً لي.

- حسناً، فلنقل يوم الجمعة إذن. الجمعة الثامن عشر من هذا الشهر، هذا هو الموعد. سأدوّنه حالاً في دفتري الصغير. حقاً إن الفكرة تسرني كثيراً.

قال بوارو بصوت خافت: أنا لست واثقاً تماماً أنها تسرني. لا أعني أنني لست مكترثاً بدعوتك الكريمة، لا أعني ذلك...

قاطعه شيطانا قائلاً: أتراها تتعارض مع اعتباراتك المِهنيّة؟ يا صديقي العزيز، عليك أن تطلق نفسك من قيود عقلية الشرطي.

قال بوارو بتمهّل: هذا صحيح، فأنا لي موقف مِهنيّ مبدئي دقيق من الجريمة.

- ولكن لماذا يا عزيزي؟ لو كان عملاً طائشاً غيرَ متقن وفيه سفك دماء فأنا أشاطرك الرأي حتماً، لكن الجريمة يمكنها أن تكون فناً أيضاً، والقاتل يمكنه أن يكون فناناً!

- آه، أعترف بذلك.

- حسناً، وماذا بعد؟

- لكنه يبقى قاتلاً.

- أؤكد لك يا عزيزي السيد بوارو أن تنفيذ عمل شديد الإتقان يستحق الإعجاب. أنت تسعى، هكذا ببساطة، لتقبض على كل قاتل فتقيّده وتحبسه أو تدق عنقه، ولو أردت رأيي الشخصي فإن القاتل الناجح حقاً يستحق أن يُمنَح مكافأة وتقام له وليمة عشاء!

رفع بوارو كتفيه قائلاً: أنا يمكن أن أُعجب بجريمة القتل الكاملة كما يمكن أن أعجب بأسد جميل، لكنه يعجبني وأنا خارجَ قفصه، أما أن أدخله فلا. أعني ما لم يكن ذلك جزءاً من واجبي، لأن الحيوان المفترس لا يُؤمَن شره يا سيد شيطانا.

ضحك السيد شيطانا وقال: هذا صحيح بالنسبة للوحش المفترس، وماذا عن القاتل الفنّان؟

قال بوارو بوقار: القاتل قد يَقتل.

- لا تسمح للهواجس المقلقة بالسيطرة عليك يا صديقي العزيز. هل أفهم -إذن- أنك لن تزورني وتشاهد مجموعتي من الأسود؟

- بالعكس، الفكرة تعجبني جداً.

- يا لك من شجاع!

- أنت لا تفهمني جيداً يا سيد شيطانا؛ ما قلته لك للتوّ كان

تحذيراً. لقد طلبتَ مني منذ لحظات أن أعترف بأن اقتناء مجموعة من القتلة أمر ممتع، فقلتُ إنني فكرت في كلمة أخرى غير كلمة «ممتع». الكلمة هي «خطير». يخيَّل إليّ أن هوايتك من النوع الخطير يا سيد شيطانا.

ضحك السيد شيطانا ضحكة شيطانية جداً وقال: هل أنتظرك مساء الثامن عشر من الشهر إذن؟

انحنى بوارو انحناءة مختصرة قائلاً: يمكنك انتظاري مساء الثامن عشر، ألف شكر.

- سأعدّ الترتيبات لتكون حفلة صغيرة. لا تنسَ... الساعة الثامنة.

انصرف الرجل، وبقي بوارو واقفاً يواصل النظر إليه برهة وجيزة وهو يهز رأسه متأملاً.

* * *

الفصل الثاني

عشاءٌ في بيت السيّد شَيْطانا

فُتح باب شقة السيد شيطانا بهدوء، وتأخر كبير الخدم الكهل إلى الوراء قليلاً لكي يسمح لبوارو بالدخول، ثم أغلق الباب بهدوء مماثل وأراح الضيف من معطفه وقبعته برشاقة، ثم تمتم بصوت خافت لا تعبير فيه: بأي اسم أقدمك؟

- هيركيول بواور.

ترددت همهمة حديث خافت في أرجاء البهو، ثم فتح كبير الخدم باباً وأعلن قائلاً: السيد هيركيول بوارو.

فتقدم شيطانا لاستقباله وهو في أبهى حلّة كعادته، وقد تضاعفت فيه اللمسة الشيطانية هذه الليلة وبدا الحاجبان أكثر بروزاً في التوائهما المضحك.

قال:دعني أقدمك لضيفتي. هل تعرف السيدة أوليفر؟

استمتعت روح «المخرج المسرحي» الكامنة فيه بملامح الدهشة التي أبداها بوارو.

كانت السيدة أوليفر روائيّة مشهورة ولها كتابات عن الإثارة والإجرام، وقد كتبت مقالات مسهَبة في ميول المجرم وجرائم

الحب الشهيرة والقتل من أجل المال، ولا بد أن تحتل مساحة كبيرة في الصحافة كلما وقعت جريمة قتل لأن الصحف تحرص حينها على إجراء المقابلات معها. وكانت معروفة بثقتها الهائلة بالحاسة الأنثوية، وقد تردد أنها قالت ذات مرة: ليت امرأة تقود شرطة سكتلنديارد!

كانت امرأة مقبولة في منتصف العمر ذات هندام بسيط وملامح جميلة، لها عينان رائعتان وشعر غزير أشيب منفوش تداوم على تغيير مظهره باستمرار، فيوماً تردّه إلى الوراء بعيداً عن جبهتها معقوصاً بشكل كعكة مستديرة عند الرقبة، ويوماً آخر تفاجئك بعَقد شعرها في ضفائر كبيرة متموجة غير مرتبة نسبياً. أما هذه الليلة فكان شعرها منسدلاً فوق جبينها.

سلّمت على بوارو بصوت جهير معتدل، وكانت قد التقت به سابقاً في مأدبة أدبية.

قال السيد شيطانا: لا شك أنك تعرف المفتش باتل أيضاً؟

تقدم رجل ضخم مربوع الهيئة جامد الوجه، يكاد يظن من ينظر إليه أنه منحوت من الخشب، بل سيشعر أيضاً أن الخشب الذي نُحت منه وجهه هو من ذلك النوع الذي تُصنع منه السفن الحربية! وكان المفتش باتل خيرَ ممثل لشرطة سكتلنديارد، فهو يبدو دوماً بارداً لدرجة البلادة.

قال المفتش باتل: إنني أعرف السيد بوارو.

تحركت عضلات وجهه وهو يبتسم، ثم عاد إلى جموده السابق.

واستمر السيد شيطانا: الكولونيل ريس.

لم يسبق لبوارو أن التقى بالكولونيل ريس، إلا أنه كان يعرف عنه بعض المعلومات. رجل في الخمسين، أسمر وسيم لوّحته الشمس بشدة، وكان يمضي أكثر الوقت في مهمات خارج البلاد، ولا سيما حيث توجد المشكلات. إن مصطلح «الخدمة السرية» تعبير مثير، لكنه قد يصف طبيعة نشاطات الكولونيل ريس بدقّة.

مع لقائه بهذه الشخصيات صار بوارو قادراً على استيعاب مقاصد مُضيفه الساخرة. وقال السيد شيطانا: لقد تأخر ضيوفنا الآخرون. ربما كان الخطأ خطئي، فقد حدّدت الموعد بالساعة الثامنة والربع.

عندئذ فُتح الباب وأعلن كبير الخدم: الدكتور روبرتس.

دخل الرجل بهدوء يذكّر المرءَ بالزائر الحذر الذي يدخل على مريض اشتدّ به المرض. كان في مقتبل العمر، بشوشاً لطيف المزاج وله عينان صغيرتان تَطْرفان كثيراً وفيهما شيء من الجسارة، وكان مرحاً واثقاً ويميل إلى البدانة، وله شكل الطبيب المتمرس الذي يُشعرك بأن تشخيصه صائب وأن علاجه نافع ناجع.

قال الدكتور روبرتس بلطف: آمل ألّا أكون متأخراً.

صافح مضيفه الذي قدمه إلى الآخرين، وبدا سعيداً -على وجه الخصوص- بالتعرف على المفتش باتل.

- أنت أحد الأسماء اللامعة في شرطة سكتلنديارد، أليس كذلك؟ إنه لأمر شيّق فعلاً! ليس من المناسب أبداً أن أطلب منك

التحدث في شؤون عملك، إلا أنني أنذرك بأني سأحاول ذلك لأنني لطالما اهتممت بالجريمة. قد يكون هذا أمراً سيئاً بالنسبة لطبيب، ولكني لا أخبر المرضى العصبيين به.

ثم قهقه بمرح، وفي تلك اللحظة فُتح الباب مرة أخرى وأُعلن اسم القادم الجديد: السيدة لوريمر.

كانت السيدة لوريمر امرأة أنيقة في نحو الستين من العمر، لها ملامح جميلة وشعر أشيب حسن التصفيف وصوتٌ صافٍ صادح. قالت وهي تقترب من مضيفها: آمل ألّا أكون قد تأخرت.

ثم التفتت لتحيي الدكتور روبرتس الذي كانت تعرفه من قبل، وفي اللحظة نفسها أعلن كبير الخدم: الميجور دِسْبارد.

كان الميجور دسبارد رجلاً وسيماً نحيلاً طويل القامة، في صدغه أثر جرح قديم يشوّه وجهه قليلاً. وبعد التعارف انجذب بصورة تلقائية لجهة الكولونيل ريس، وسرعان ما راح الرجلان يخوضان في الرياضة ويتبادلان أخبار رحلات السفاري.

ثم فُتح الباب للمرة الأخيرة ليعلن كبير الخدم: الآنسة ميريدث.

دخلت شابة في أوائل العشرينيات. وكانت متوسطة القامة حسنة الوجه وقد لفَّتْ ضفائر شعرها البنّي حول عنقها، وكانت عيناها الرماديتان واسعتين متباعدتين، وقد كست وجهها بالقليل من مسحوق الزينة، أما صوتها فكان خافتاً خجولاً إلى حد ما.

قالت: آه، يا إلهي، هل أنا آخر الحاضرين؟

تقدم السيد شيطانا لاستقبالها وردّ بمجاملة منمقة بطريقة شكلية ورسمية، ثم تركها واقفة إلى جانب بوارو الذي خاطبها باسماً: إن صديقنا حريص جداً على الشكليات.

فشاطرته الفتاة الرأي: نعم، إنه كذلك. في هذه الأيام لم يعد المضيفون حريصين على تقديم ضيوفهم بعضهم لبعض، فحسبهم أن يقولوا "أعتقد أنك تعرفين الجميع"... ثم يَمضون.

- سواءٌ أكنت تعرفين الجميع أم لا؟

- نعم، وهذا يسبب بعض الحرج أحياناً.

ثم قالت بتردد: هل تلك هي الروائية الشهيرة السيدة أوليفر؟

في تلك اللحظة ارتفع صوت السيدة أوليفر الجَهير وهي تتحدث مع الدكتور روبرتس: ليس بإمكانك أن تتجاهل غريزة المرأة يا دكتور، فالنساء يعرفنَ هذه الأمور.

حاولت أن تزيح شعرها إلى الخلف بعيداً عن جبهتها إلا أنه انسدل راجعاً إليه.

قال بوارو: نعم، إنها السيدة أوليفر.

- أليست هي مؤلفة رواية «جثة في المكتبة»؟

- بلى، هي نفسها.

تجهمت الآنسة ميريدث قليلاً، ثم سألت: وذلك الرجل المتخشب، هل قال السيد شيطانا إنه مفتش؟

- نعم، من سكتلنديارد.

- وأنت؟

- وأنا؟

- أعرف عنك سيد بوارو، فأنت الشخص الذي حل لُغز الجرائم الأبجدية.

- إنك تغمرينني بالإحراج يا آنسة.

قطّبت الآنسة ميريدث حاجبيها وقالت: السيد شيطانا...

سكتت فقال بوارو بصوت خافت: يستطيع المرء أن يقول إنه ذو «عقلية تهوى المسائل الإجرامية». يبدو أن الأمر كذلك، ولا شك أنه يتمنى لو أننا نتجادل كلنا بشأنها. ها هو الآن يحثّ السيدة أوليفر والدكتور روبرتس وهما يتناقشان عن السموم الخفيّة.

زفرت الآنسة ميريدث وهي تقول: يا له من رجل غريب الأطوار!

- الدكتور روبرتس؟

- لا، بل السيد شيطانا.

ارتعدت قليلاً وقالت: أشعر دائماً بشيء مخيف فيه، وليس باستطاعتك أن تعرف أبداً ما الذي يستهويه. قد يكون شيئاً عنيفاً.

أقرّ بوارو قائلاً: لعله يمتلك عقلية منحرفة فعلاً.

قالت الآنسة ميريدث بصوت خافت: إنه لا يعجبني كثيراً.

طمأنها بوارو قائلاً: لكن العشاء سيعجبك، فطبّاخه رائع.

نظرت إليه مرتابة ثم ضحكت: ما هذا؟ يبدو أنك إنساني جداً.

- بالتأكيد أنا إنساني!

قالت الآنسة ميريدث: أحس بالانزعاج من وجودي مع كل هؤلاء المشاهير في مكان واحد.

- يا آنستي، ليس المفروض أن تصابي بالانزعاج بل ينبغي أن تشعري بالإثارة! كان عليك إحضار أوتوغراف توقيعات وقلم.

- حسناً، في الحقيقة أنا لا أهتم كثيراً بعالم الجريمة، وأظن أن النساء مثلي عموماً، فالرجال هم الذين يقرؤون الروايات البوليسية.

تنهد بوارو متأثراً وراح يُتمتم: يا للخسارة! ما كنت سأدخر شيئاً مقابل أن أكون بمثل شهرة أصغر نجم من نجوم السينما!

فتح كبير الخدم الباب فجأة، فتمتم بوارو قائلاً: يبدو أن العشاء جاهز.

كان توقعه في محله تماماً. كان العشاء لذيذاً، وكذلك الأجواء المحيطة، الضوء الخافت والخشب الصقيل والوميض الأزرق للزجاج الأيرلندي، وفي الطرف المعتم على رأس المائدة جلس السيد شيطانا وقد بدا أكثرَ شيطانية من أي وقت آخر.

كانت السيدة لوريمر عن يمينه والسيدة أوليفر عن يساره، وجلست الآنسة ميريدث بين المفتش باتل والميجور دسبارد، أما بوارو فقد جلس بين السيدة لوريمر والدكتور روبرتس. وهمس له الطبيب ممازحاً: لن أسمح لك باحتكار الفتاة الجميلة الوحيدة

طوال الأمسية يا سيد بوارو. الفرنسيون لا يضيعون أي فرصة، أليس كذلك؟

صحّح له بوارو قائلاً: أنا بلجيكي.

قال الطبيب بمرح: لا فرق عندما يتعلق الأمر بالسيدات كما أظن!

ثم ترك المزاح واتخذ نبرة متخصصة وانهمك في نقاش عن آخر التطورات في علاج مرض النوم مع الكولونيل ريس الجالس على جانبه الآخر.

أما السيدة لوريمر فقد التفتت إلى بوارو وأخذت تحدثه عن آخر المسرحيات، وكانت أحكامها معقولة وكان نقدها موضوعياً. ثم تحوّلا إلى الكتب ثم إلى السياسة العالمية، فوجدها امرأة ذكية تماماً وواسعة الاطلاع.

على الجانب الآخر من المائدة كانت السيدة أوليفر تسأل الميجور دسبارد إن كان يعرف شيئاً عن سموم غير شائعة ولا يعرفها أحد، فقال: حسناً، ماذا عن الكورار؟

- يا صديقي العزيز، إنها نكتة قديمة! لقد استُعمل في الروايات مئات المرات. إنما أعني شيئاً جديداً.

أجابها الميجور دسبارد ببرود: إن أبناء القبائل البدائية أناس من الطراز العتيق، فهم يتشبثون بالأشياء الجيدة القديمة التي استعملها أجدادهم وأسلافهم في الماضي.

قالت السيدة أوليفر: يا له من أمر ممل مثير للضجر! ظننت

أنهم يُمضون الوقت في تجارب جديدة وهم يطحنون الأعشاب ويخلطونها بأشياء أخرى، واعتقدت دائماً أنها فرصة عظيمة للمستكشفين الذين يجوبون تلك المناطق، فربما استطاعوا العودة إلى الوطن ليقتلوا أعمامهم الأغنياء بسُمّ جديد لم يسمع به أحد من قبل.

قال دسبارد: على المرء أن يذهب من أجل هذا الغرض إلى حيث الحضارة لا إلى البدائية، إلى مختبر عصري مثلاً، حيث يجرّبون استنبات جراثيم بريئة المظهر يمكنها التسبب في أمراض فتاكة.

قالت السيدة أوليفر: لن ينفع هذا مع قرّائي. ثم إن المرء يكون عرضة للخطأ في الأسماء، المُكوَّرات العنقودية والمكورات العُقَدية وأشباهها... إن التمييز بينها يصعب جداً على سكرتيرتي، وهي أشياء مملة على أية حال، أليس كذلك؟ ما هو رأيك أنت يا حضرة المفتش؟

- في الحياة الواقعية لا يتكلف الناس مثل هذا العناء يا سيدة أوليفر، إنهم يستعملون الزرنيخ دائماً لأنه جيد المفعول وسهل المنال.

- هراء! بل إن السبب -ببساطة- هو أنكم في شرطة سكتلنديارد عجزتم عن اكتشاف الجرائم التي وقعت بأنواع خفية من السموم. آه لو أن امرأة كانت على رأس الشرطة!

- في الواقع لدينا...

- نعم، أولئك الشرطيات البغيضات ذوات القبّعات

المضحكة اللاتي يُزعجنَ الناس في المتنَزّهات! أنا أعني امرأة تقود العمل، فالنساء يفهمن في الجريمة.

قال المفتش باتل: إنهن عادة مجرمات ناجحات جداً، فهنّ يحتفظن برباطة جأشهن ويُفلتن من العقاب بمهارة تثير الدهشة.

ضحك السيد شيطانا بأدب وقال: سلاح المرأة هو السم. لا بد أن نساء كثيرات استخدمنَ السم ولم يكتشفهن أحدٌ أبداً.

قالت السيدة أوليفر بمرح: بالطبع توجد نساء من هذا النوع.

واصل السيد شيطانا كلامه متأملاً: والطبيب أيضاً له فرصة كبيرة لاستعمال السموم.

صاح الدكتور روبرتس: إنني أعترض، فنحن لا نسمّم مرضانا إلا خطأ وبمحض المصادفة.

ثم أطلق ضحكة من الأعماق، فاستأنف السيد شيطانا الحديث: أما أنا فلو عزمت على ارتكاب جريمة...

ثم سكت، فلفت انقطاعه المفاجئ الانتباه واتجهت كل الوجوه إليه، فأكمل: لو أردت ارتكاب جريمة لجعلتها بسيطة جداً، من «النوع المنزلي» من الحوادث، وربما جعلتها حادثة إطلاق نار عرَضية... ولكن مَن أكون أنا لأتكلم وكل هؤلاء الخبراء حاضرون؟

وراح يكمل أكله والشموع تلقي بظلال أضوائها الباهتة على وجهه، بشاربه المنمَّق ولحيته الصغيرة وحاجبَيه الكثَّين.

* * *

الفصل الثالث

لعبة بريدْج

عندما عاد الجمع إلى قاعة الاستقبال وجدوا فيها طاولة مُعَدَّة للعب البريدج، وسألهم السيد شيطانا: من منكم يلعب البريدج؟ السيدة لوريمر كما أعلم، والدكتور روبرتس. هل تلعبين يا آنسة ميريدث؟

- نعم، مع أنني لا أجيدها.

- ممتاز. والميجور دسبارد؟ جيد. أنتم الأربعة ستلعبون هنا.

قالت السيدة لوريمر لبوارو: كم أنا مسرورة لأننا سنلعب البريدج، فأنا من أكثر عشاق هذه اللعبة حماسة في العالم، وما كنت لألبّي أي دعوة إلى العشاء لو لم تكن بعدَه جولة من البريدج، فإن النعاس يغلبني إذا لم نلعب بعد العشاء. وأنا أخجل من نفسي بسبب ذلك، ولكن ما بيدي حيلة.

انقسموا إلى شركاء، فاشتركت السيدة لوريمر مع آن ميريدث ضد الميجور دسبارد والدكتور روبرتس. وقالت السيدة لوريمر بعد أن جلست وهي تخلط الأوراق ببراعة: النساء ضد الرجال! نحن لاعبتان عنيدتان، ألا تعتقدين ذلك يا شريكتي؟

قالت السيدة أوليفر وقد تملكتها الحماسة الأنثوية: احرصا على الفوز وأثبتا للرجال أنْ ليس كل شيء يجري على هواهم.

قال الدكتور روبرتس مبتهجاً وهو يخلط حزمة الورق الأخرى: ليس لهنّ أمل، هؤلاء المسكينات العزيزات! توزيع الأوراق معك يا سيدة لوريمر كما أظن؟

جلس الميجور دسبارد بهدوء وهو ينظر إلى الآنسة ميريدث كما لو أنه اكتشف لتوّه أنها جميلة بشكل ملفت للنظر، فقالت السيدة لوريمر بحدّة: اقطع الورق لو سمحت.

بعد عبارة اعتذار قطع الحزمة التي حملتها أمامه، ثم شرعت السيدة لوريمر بتوزيع الأوراق بيد خبيرة، وعندها قال السيد شيطانا: في الغرفة الأخرى طاولة ثانية للبريدج.

واجتاز المكان نحو الباب يتبعه الأربعة الآخرون، فدخلوا غرفة صغيرة مريحة التأثيث وقد أُعدّت فيها طاولة ثانية.

قال الكولونيل ريس: نحن خمسة؛ علينا أن نُجري قرعة.

هزَّ السيد شيطانا رأسه قائلاً: أنا لا ألعب، ليس البريدج من اللعبات التي تسلّيني.

فاعترض الآخرون قائلين إنهم يحبذون عدم اللعب أيضاً، لكنه ألحّ عليهم فجلسوا أخيراً، بوارو والسيدة أوليفر ضد باتل وريس. ومكث السيد شيطانا برهة يراقبهم، وتبسم بطريقته الشيطانية عندما لاحظ الأوراق التي أعلنت عنها السيدة أوليفر، ثم انتقل الى الغرفة الأخرى بهدوء.

كان اللاعبون هناك مندمجين في اللعبة تماماً وقد اتسمت وجوههم بالجِدّ البالغ، وكانت الطلبات تتوالى بسرعة، فوقف السيد شيطانا لحظة يراقب مبتسماً مع نفسه، ثم اجتاز الغرفة ليجلس على كرسي كبير بجوار المدفأة. وجيء بصينية الشاي فوُضعت على منضدة قريبة، كان وهج النار يتلألأ على الأكواب الخزفيّة.

ولأنه كان فنّاناً في الإضاءة فقد جعل السيد شيطانا تلك الغرفة كما لو كانت مضاءة بنار المدفأة فقط. وعلى مقربة منه وُضع مصباح صغير مظلّل يستعمله عند القراءة. وقد أضفى التحفّظ جواً من القتامة على الغرفة، وكان هنالك ضوء أقوى قليلاً يلقي أشعته على طاولة البريدج، حيث توالت الهتافات المتتابعة من السيدة لوريمر والدكتور روبرتس وآن ميريدث. وكان صوت دسبارد ينقطع بسكتة قصيرة قبل أن يتكلم دائماً، وهو لم يكن بطيء التفكير بقدر ما كان رجلاً يرغب في التيقّن قبل أن يتكلم.

تبسم السيد شيطانا بينما كان وهج النار يلقي بضوئه المتراقص على وجهه، وتبسّم وطال تبسُّمه ورفرف جفناه قليلاً، فقد كانت حفلته تسلّيه تماماً.

* * *

قال الكولونيل ريس: خمسة ديناري! فُزنا بالجولة. ثم خاطب بوارو قائلاً: أحسنت يا شريكي، لقد خشيت أن لا تفعلها، ولحسن الحظ أن السيدة أوليفر لم تبادر بالورقة القوية التي كانت بحوزتها.

قال المفتش باتل بشهامة: ما كانت لتُحدث اختلافاً كثيراً كما أظن.

كان قد نادى بالبستوني، وكانت شريكته السيدة أوليفر تملكها، لكن شيئاً ما أوحى لها بأن تبادر بالسباتي، فكانت النتائج مشؤومة.

نظر الكولونيل ريس إلى ساعته وقال: إنها الثانية عشرة وعشر دقائق، ألديكم وقت لجولة أخرى؟

أجابه المفتش باتل قائلاً: أرجو المعذرة، فقد اعتدت أن آوي إلى الفراش مبكراً.

قال بوارو: وأنا أيضاً.

فقال ريس: يحسن بنا أن نجمع النتائج.

كانت نتيجة الجولات الخمس لتلك الليلة نصراً ساحقاً للرجال، وكان الرابح الأكبر هو الكولونيل ريس. ورغم أن السيدة أوليفر كانت لاعبة بريدج رديئة إلا أنها خاسرة تتحلى بروح رياضية، وقد دفعت ما عليها بانشراح.

قالت: كل شيء جرى بخلاف المطلوب هذه الليلة، هكذا تجري الأمور أحياناً. لقد حزت أفضل الأوراق أمس وحققت مئة وخمسين نقطة ثلاث مرات متتالية.

ثم نهضت فحملت حقيبتها المطرزة، وتوقفت لحظة عن إزاحة شعرها عن حاجبَيها وهي تقول: أظن أن مضيفنا في الغرفة المجاورة؟

عبرَت الباب الفاصل بين الغرفتين وتبعها الباقون، وكان السيد شيطانا جالساً في مقعده بجوار المدفأة فيما كان لاعبو

البريدج الأربعة منهمكين في جولتهم حول الطاولة وقد بدت اللعبة مثيرة، فاقتربت السيدة أوليفر منهم واقترب معها المفتش باتل، فيما اتجه الكولونيل ريس نحو السيد شيطانا ووراءه بوارو.

قال ريس: آن لنا أن ننصرف يا شيطانا.

لم يردّ السيد شيطانا؛ كان رأسه مائلاً إلى الأسفل وبدا نائماً، فصوّب ريس نظرة عاجلة قلقة نحو بوارو ودنا منه أكثر. في اللحظة التالية كان بوارو إلى جانبه ينظر إلى حيث أشار الكولونيل ريس، إلى جسم مدوّر يبدو أشبهَ بزر ذهبي في القميص، لكنه لم يكن كذلك.

انحنى بوارو فرفع إحدى يدَي السيد شيطانا ثم تركها تسقط، ثم التقت عيناه بعيني ريس المتسائلتين وأومأ برأسه، فرفع هذا الأخير صوته قائلاً: يا مفتش باتل، لحظة من فضلك.

أقبل المفتش عليهما في حين استمرت السيدة أوليفر بمراقبة اللعبة. وبرغم ما يبدو على المفتش باتل من برود ظاهري فقد كان رجلاً سريع الاستجابة. انضم إليهما وقد ارتفع حاجباه وقال بصوت خافت: هل وقع مكروه؟

أشار الكولونيل ريس بإيماءة من رأسه إلى الجثة الهامدة على الكرسي، وفيما انحنى باتل عليه راح بوارو ينظر مفكراً إلى ما يمكن رؤيته في وجه السيد شيطانا. إنه يبدو الآن وجهاً ساذجاً وقد مال الفم مفتوحاً واختفى التعبير الشيطاني، وهز بوارو رأسه.

عدّل المفتش باتل قامته. كان قد فحص ذلك الشيء الذي بدا وكأنه زرّ ذهبي للزينة في قميص السيد شيطانا، فحصه بعينه دون

أن يلمسه، ورفع اليد الرخوة وأفلتها فإذا بها تهوي على الفور. ثم انتصب واقفاً دون انفعال. بدا مظهره عسكرياً متأهباً لتولي مسؤولية الموقف بجدارة، وقال: لحظة من فضلكم!

كان الصوت العالي هو صوته الرسمي، وقد تغير لدرجة أن رؤوس لاعبي البريدج الجالسين إلى الطاولة استدارت نحوه وبقيت كف الآنسة ميريدث تغطّي ورقة الآس البستوني بتكتّم.

قال: يؤسفني أن أبلغكم بأن مضيفنا السيد شيطانا قد مات.

نهض كل من الدكتور روبرتس والسيدة لوريمر واقفَين، أما دسبارد فقد حملق متجهماً، وأطلقت آن ميريدث شهقة قصيرة.

سأله الدكتور روبرتس أمتأكد أنت يا رجل؟

ثم أقبل وقد أثيرت غرائزه الطبّية نحو الميت بخفّة وبخطوات متوثبة، إلا أنه لم يستطع الوصول إليه، فقد حال جسم المفتش باتل دون تقدمه.

- لحظة من فضلك يا دكتور روبرتس. هل تسمح بأن تخبرني أولاً عمّن دخل أو خرج من هذه الغرفة هذا المساء؟

حدق روبرتس إليه وقال: دخل وخرج؟ لم يفعل ذلك أحد.

تحول المفتش بنظرته الحذرة: هل هذا صحيح يا سيدة لوريمر؟

- صحيح تماماً.

- لا كبير الخدم ولا أحد من الخدم؟

- نعم. جاء كبير الخدم بتلك الصينية عندما جلسنا نلعب البريدج ولم يدخل بعد ذلك.

نظر المفتش إلى دسبارد فأومأ برأسه مؤيّداً، ثم قالت آن ميريدث وهي تلهث: نعم، نعم، هذا صحيح.

فقال روبرتس وقد نفد صبره: ما كلّ هذا يا رجل؟ دعني أفحصه فقط، فربما كانت مجرد نوبة إغماء.

- إنها ليست نوبة إغماء، وأنا آسف؛ لن يلمسه أحد حتى يحضر الطبيب الشرعي. لقد قُتل السيد شيطانا أيها السيدات والسادة.

قالت آن وهي تزفر غير مصدقة: قُتل؟! وحدّق دسبارد تحديقة جوفاء للغاية، ونمّت لفظة "قُتل؟!" عن السيدة لوريمر بنبرة حادة قاطعة، وعبارة "يا إلهي!" عن الدكتور روبرتس.

أومأ المفتش باتل برأسه بهدوء وبدا أشبه ما يكون بتمثال من الخزف الصيني لشخصية صينية إمبراطورية قديمة، وكان تعبيره بارداً تماماً وهو يقول: لقد طُعن، تلك هي الطريقة. طُعن.

ثم سأل: "هل غادر أي منكم طاولة البريدج هذا المساء؟" فشاهد أربعة تعابير متباينة على الوجوه الأربعة، رأى الخوف والازدراء والفزع والرعب.

أطبق الصمت فترة، ثم نهض الميجور دسبارد واقفاً كجندي في حالة استعداد والتفت بوجهه الذكي إلى المفتش باتل وقال بهدوء: أعتقد أن كل واحد منا قد غادر طاولة البريدج في وقت من الأوقات، إما لإحضار كوب من الشاي أو ليضع حطباً في

المدفأة، وقد صنعت أنا الأمرين، وعندما اتجهت إلى المدفأة كان شيطانا نائماً في مقعده.

- نائماً؟

- لقد ظننتُ ذلك، نعم.

فقال باتل: ربما كان كذلك، أو لعله كان ميتاً آنذاك، سنعرف بعد قليل. و الآن سأطلب منكم أن تدخلوا جميعاً الغرفة المجاورة.

اتجه لاعبو البريدج الأربعة على مهل من خلال الباب، وجلست السيدة أوليفر على مقعد في الطرف الآخر من الغرفة وهي تتنهد بعمق. والتقط باتل سماعة الهاتف فأجرى مكالمة قصيرة، ثم خاطبهم قائلاً: سيحضر رجال الشرطة المحلّية حالاً، وقد أمرني مركز القيادة أن أتولى القضية. أيضاً سيحضر الطبيب الشرعي بعد قليل. كم من الوقت مضى على وفاته برأيك يا سيد بوارو؟ أنا شخصياً أعتقد أنها ساعة أو أكثر.

- أوافقك، للأسف ليس بوسع المرء أن يكون أكثر دقة فيقول إن هذا الرجل فارق الحياة منذ ساعة وخمس وعشرين دقيقة وأربعين ثانية مثلاً.

أومأ باتل برأسه شارد الذهن ثم قال: لقد كان جالساً مقابل المدفأة تماماً، لذلك لن يستطيع الطبيب أن يعطي تقديراً لوقت الوفاة أدقّ من قوله إنها وقعت منذ أكثر من ساعة وأقل من ساعتين ونصف! وللأسف فإن أحداً لم يسمع ولم يشاهد شيئاً. عجبي! يا لها من فرصة يائسة انتهزها القاتل، فقد كان ممكناً أن يصرخ

الضحية مستغيثاً.

- إلا أنه لم يفعل. لقد كان القاتل محظوظاً، وكما تقول يا صديقي: كان عملاً يائساً.

- ألديك أي فكرة عن الدافع يا سيد بوارو؟

قال بوارو بهدوء: نعم، عندي ما أقوله في هذا الخصوص. أخبرني: هل قدّم لك السيد شيطانا أيَّ تلميح عن نوع الحفلة التي دعاك إليها هذه الليلة؟

نظر إليه المفتش باتل بفضول وقال: لا يا سيد بوارو، لم يقل شيئاً على الإطلاق. لماذا؟

رنّ جرس بعيد فقال المفتش باتل: ها قد وصل رجالنا. أنا ذاهب لإدخالهم، وسوف نستمع إلى شرحك فوراً بعدها، فينبغي علينا البدء بالتحقيق.

غادر باتل الغرفة فذهب بوارو إلى طاولة البريدج، ومن غير أن يلمس أي شيء فحص بيانات اللعبة المدوَّنة في البطاقات، وهزّ رأسه مرة أو مرتين وهو يردد مع نفسه: يا له من رجل مغفّل! يا لها من صبيانية، أن يَظهر بمظهر الشيطان ويحاول أن يبثّ الرعب في قلوب الناس!

ثم فُتح الباب ودخل الطبيب الشرعي حاملاً حقيبته بيده وتبعه مفتش القسم متحدثاً إلى باتل، ثم جاء مصوّر الشرطة. وهكذا بدأت إجراءات التحقيق في الجريمة.

* * *

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا، ونأمُل أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت لك قراءة ممتعة وعرَّفَتك بالرّواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية (وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة، ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو احتجت لأي مساعدة.

الأجيال
www.al-ajyal.com